الكيلاني عون

كنوز الفراغ



شعر

2021

كنوز الفراغ



الكتاب : كنوز الفراغ
الصنف : شعر
المؤلف : الكيلاني عون
الطبعة الأولى
سنة الطبع :2021

رقم الإيداع القانوني : 166/ 2021 دار الكتب الوطنية

ردمك: 978-9959-9683-9-5 ISBN

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا
هاتف :9090509-9096379-9097074
بريد مصور :9097073
البريد الإلكتروني : nat_lib_libya@hotmail.com

لوحة الغلاف : الكيلاني عون
تصميم غلاف: محمد الكاسح
إخراج داخلي وطباعة : إمكان



ش شوقي - طرابلس - ليبيا

الكيلاني عون

كنوز الفراغ

شعر

إهداء

إلى الفراغ العظيم حيث أتنزّه مع قلبي

إهداء آخر

إلى كل الأشجار التي أعرفها وتعرفني

بين جبالٍ وأزهار
بين أمطار ومسافرين وأودية
بين أشجار وينابيع وأطفال
وكل الذين مرّوا بي ومررتُ بهم
أريدُ أن أُغني
كطائرٍ
لا يسقط من الاعياء

دائماً أتماثل لفراغي

سأضعِ المنشدين على ظهر الموجة، هذا قضاء الفراغ، صولته الممتحنة بسلطان النظر وتوقيت النسيان.
هذا ما أذكره من جدل التيه وعاداته عاداتِ البرق يلمع في المكان الأعمى.
سيفٌ وأقبيةٌ ومنادون بأسماء الرياح لقتلها، أذكرُ أيضاً ضبابَ الأعياد في نظرات أبي والفقر المربوط بمكانٍ لا نعلمه حتى لا يراه الضيوف.
كان لديَّ الوقتُ بأسره لأُدرِّب عينيَّ على رؤية الأشجار ما سيتحوَّل إلى نوعٍ عجيب من الإدمان، إدمان السفر للجلوس في ظِلِّ شجرة بعيدة وربما ليس أكثر من الوقوف أمامها والإحساس المفرط برغبة في البكاء.

موجة الرسم أيضاً كانت نوعاً من الغضب، كنتُ فقط أريد رسم الأسماك وهي تسبح في الفضاء والبيوت المائلة صوب البحر والأجساد الغائبة عن لحظاتٍ بعينها، لا أعلم كيف فكَّرتُ

طويلاً بذلك الأمر، أن يظل مكان ما فارغاً سوى من الكلمات، الكلمات الشبيهة بشخوصها الراحلين.

لا أريد أحياناً أن يعرفني أحد

تشبَّعتُ بفضائل الأرواحِ النقيَّة وجرَّبتُ الابتعاد عمّا يجرح الفراغ، الفراغ الكبير والمصان بتمتمات القلق والنسيان.

ارتكبتُ الكثير من الصمت حتى تحسّستُ صلاةَ ندمائه، وأيقنتُ آخر الأمر أنه أحد المبشَّرين بهزائمي بين الناس والشوارع وأندية اللغط المتربّص بشبهاتِ النقاء.

لم يعرفني كائن كما عرفتُ نفسي، كما عرفتني الأشجار ولم يحتفظ بي شيء كما يتوهَّم.

قالت لي امرأةٌ ذات يوم: يمكن التقاطكَ ولكن لا يمكن الاحتفاظ بكِ.

لا أعلم كيف صاغت تلك العبارة أو من أين جاءت بها، كل ما أعرفه هو ذلك القدر الحزين من الصداقة البريئة الغائبة الآن بكل الأشياء، ذلك القدر من أنين الذهاب إلى البئر.

الضجر الوحيد الذي كان يعرفني جيّداً لم يعد قادراً على المشي، الآن يجنّد رسائله الفارغة ويقهقه عندما يسألني أحدٌ ما: (هل يذوب الحصان؟).. مررنا كثيراً بين أسواق لا ترى بضاعتها

ورغمُ ذلك تبيع وتشتري كذبةَ صياحها.
سرتُ طويلاً مع الهواء والمطر، ومع نفس القلق اللامنظور، وقفتُ أمام البحر مترقّباً بريد الغرقى.
أحاطَ كلُّ أمرٍ كما ينبغي تقريباً بمعجزته كبابٍ طليق، حتى الضّجر اكتفى بابتساماتٍ ممسوحة إزاءَ المكانُ الخطأ حيثُ الأخطبوط التأويلي لما نقترفه من ذهولٍ بما يحدث.
حتى الحرب لم تبدّلني، حتى ذهاب الساعات المحتملة للفرح لم يغيّرني، لم يستطع اقتلاعي هذا العالم ممّا أُحبُّ رغم الذهاب المتكرّر للطمأنينة.
لن يصير الكون مرثاة في الحديقة حيث أجلسُ كل يوم، أجلس وحيداً بينما القذائف تجتازني إلى أمكنة قريبة أو بعيدة، ذلك ما يجعلني قلقاً ومنحازاً للذين ربّما سقطوا فجأةً بلا ذنب سوى أنهم من تعساء هذه المدينة.
الحرب تجعلني فقط أكثر حزناً واصراراً على الكتابة ومحاولة معرفة ماذا تقول الأشجار، ماذا يقول كل شيء أعبره إلى فراغي.
لا أحبّ المتاهات التي يجيدها آخرون بتفاح دراية سقيمة، لذا أبتكر متاهاتي وبينها أُجوّع بعضَ الانتصارات الملفّقة أيضاً، أُجوّعها لتأكل نفسها بينما أجد فسحةً لكل هذا الضحك

الأعزل.
أكتبُ لكِ ولهم رسائل لا يمكن قراءتها.
أضع مكانَ الشجرة شخصاً أتحدَّث إليه عن وهمِ رؤيته لي؛
أتقاضى راتباً من زفير الأيام أنفقه على الساعات المريضة لدى ناسٍ لا أعرفهم.
أحياناً أقود عربةً حزينة نحو جهة متروكة لأناقش أسعارَ الملل وغالباً أعود بتمتمة زرقاء.
لا أُحبُّ أن يكذّب أحدٌ أنه يراني فيما استمعُ إلى موسيقى تحرّرِني من العبث.
أكتبُ مثل أسيرٍ ينظر من نافذة عالية وصغيرة للشارع، ينظر، بل يتخيَّل ذلك بعينين قادرتين علىٰ تحريك المناظر.
أفعل ما أريد بوقارٍ لا وجود له، بأرقٍ يمشّط الظلال.
ودائماً أتماثل لفراغي، للحدث الأكثر صعوبة أن يغيب: الشجرة التي تقطن قلبي.
ليتني ما أشعر به.

كل أغنية كالنهر
وكل حكايةٍ سفينة

شجرة

عندما هربَ البحرُ بشروحِ الغرقى
اشترينا لأخي الذي لم يتوقّف عن البكاء
بحراً صغيراً
وراقبناه وهو يمضي عميقاً لاسترداد الأسماك الجريحة
وعيونِ كلماتٍ ملفّقة للنسيان؛
مرّةً أخرجَ شجرةً
مازلنا ننتظر تحتها عودته
من الغرق

سانحٌ للفراغ

عاصفةٌ كلَّما اقتربوا أو ابتعدوا
كلَّما هجعوا نقائضَ ونجوماً مدبرةً دون عشاء،
ثديٌ مزرقٌّ على خزائن النوم
حجرٌ يصنِّف غيبوبةَ النقش غروراً ملكيّاً،
الظلالُ لا تكذب لكنهم صدَّقوا ما كذَّبته الظلال
صدَّقوا ما أباحَ القمرُ المورَّد من لكنات العبور
وما عبروا
غادرٌ ما مكثوه بين شجار الفلكيين
ما اجتازوه وعادوا يلمّون ريشَ النبوءات،
أيّها الفظُّ المتسوِّل أقداحاً

أيّها القرير المذابح، المحتَضَر كفايةً، الوليُّ الممتدَح
بصرير السماء
هذا الرمل أوّلنا شغفاً بالبيوت
وهذي البيوت مناديلنا نلوِّح بها للعابرين.

سانحٌ للفراغ
ما جرَّدوه الفراغَ وماتوا

نباغت الطيرَ بطيرِ اللهاث

مروراً بالأليف الذي لا يُطاق بعين الماء الأخيرة
في خيانة الغبار سروجَ الحجر
مروراً بأبوَّةِ المعتلّ من سمع القناديل
مروراً بما كتبناه على صفحات الندى
وأمسى خادمَ البرق
هيّا نذهب معاً إلى الجبل مروراً بنا وبهم
وبكل البياض الوريث
نلمّ الهياجَ الموحش عاثرَ الحظِّ الساقط من إوزّات القمر
ونمهل المذاقَ هروباً جديراً بنا
ممّا ألفناه أختاماً مطهوَّة
دراهمَ أصواتٍ مذ أُريقَ الصباح مراكبَ وجرعات

جفاف،
لم يُحسَم معتقَد المجهول
لم تتحدَّث المياهُ بالخيال الوشيك،

مروراً بكيدِ الأسرى
لنعبر متلاصقين جذوعَ الشجر الطالع من زفرات المودّعين
من شكّ الغُرف كعضّ الغريبِ ساعدَ الظِلّ
نباغت الطيرَ بطيرِ اللهاث
ونجمع النازحين
صفّاً
طويلاً
وراءَ
النشيد

كل أغنية كالنهر
وكل حكايةٍ سفينة

لا مجال لثرثراتٍ أخرى
لم أعد متاحاً لنهم العفاف الضّليل
السور عالٍ الآن
أعاقر الريحً البيضاء
غير مبالٍ بأصوات الباعة
وحدها الأشجار تُحْكِم اغلاقَ الدهر
وهي تجلس على ركبتي،
كل أغنية كالنهر
وكل حكايةٍ سفينة

ستجمع المياهُ أغانيها

كلَّما رأيتُ شخصاً تائهاً تبعته من بعيد
لا أحد يدلّه على العنوان المبلَّل في رأسه
يمشي ويسأل
يمشي وتسقط منه مياهٌ برائحة قديمة
وإذا تعبَ كسرَ غصناً فسمع صرخةً
يعتذر ويبكي
لكنه لا يجد المكان، لا يجد جهةً
بعد قليل ستجمع المياهُ أغانيها
ويظهر العنوان
من صور الغرقى برأسه

إذا جاءتِ الحربُ

لا مكان نضع فيه شيئاً نحبه
الحفر كلها ملآى بالفراغ
سنأخذ منه ما يكفي لأيام متشابهة
نجعله دميةً نتناوب السهرَ عند رأسها
إذا جاءتِ الحربُ
وتكوَّمت أنفاسنا في غرفة واحدة
ولم نجد ما يمكننا النظر إليه

كل شيءٍ بلا لونٍ

لم أرَ وجهه وهو يتابع فراشاتٍ خرجت من عينيه
ويردّ تحيّةَ يومٍ غابر التقاه فجأةً
بينما
كل شيءٍ بلا لونٍ
عدا الحقل المربوط بساقِ نعامةٍ تبكي
كان يفكِّر بشراء دميةٍ لطفلةٍ لا يعرفها
ووضع جرسٍ في رقبة الأرض
لاكتشاف أين ستأخذها
عشبةُ الندم
لم أرَ مكانه حتى غادرتِ الظلالُ
مقاعدَ النحيب

اترك كل شيء كما اعتادوه

دع السمكةَ في البحر
الغزالةَ وسط الغابة
والغيوم عالية بألوان النحيب
اتركْ كل شيء كما اعتادوه
كما لوَّثوه
لا تقل لهم إن الجبال تسير وتكاد تصل
وإن المحطات كالأمهات يرتعدن وحدهن في البرد
لا تعلِّمهم صيامَ المنظر
شأنَ الفراغ
لن يسير خلفك سوى ما اقترفته من ظلال
وأنباء غضبٍ يتيم

أصفعُ الأملَ على قفاه

أصفعُ الأملَ على قفاه:
العبْ بعيداً أيها الأحمق
لا يمكننا رؤيتكَ في هذا الظلام
ولا يمكنكَ معرفة اتجاه خطوتكَ إلى جرس لا يُقْرع
إنه عام جديد
سيكذب كغيره
وستموت الوردةُ المرتجفة في البرد
العتّالون سبقوكَ وهرَّبوا الميناء
والساعات
كلها
غنائم
الرماد

سنعثر لاحقاً على ماعزنا المطعون

في المرّة البيضاء
بينما لا خطوط تشير لاستعادة المكان
لا وهم يلعق اسفنجةَ الغياب ككلبٍ من حجرٍ ضرير
ولا ميناء لحذرٍ بثوبِ الغبار
في تلك الريح وحدها
صوتٌ تخرج منه أدواتُ سياج؛
سنعثر لاحقاً على ماعزنا المطعون
ونفاجئ العاصفة

آخر الأمر

آخر الأمر
سأهدم القلعةَ
وأصطفي من الريح زورقاً
مليئاً بالأحاديث القديمة،
مات أسراي وبينهم ذنوبي
وبعض الجنود بأقساط الغبار
بعض الباقين
على ما تعوَّدوه ضامراً في شرفته الكلامُ

زرعتُ نظراتٍ كثيرة

لم يسألني أحد أين أذهب كل يوم
تركوني أمتطي الفراغ
وأجلس في مكانٍ ناءٍ
كنتُ فقط وحيداً وبحاجة إلى صمتٍ مغاير
ينبئني كل مرَّةٍ بمذبحة قادمة
وبأسماء لا تُقْرأً للذاهبين
وبهواءٍ يشبه بكاء الأشجار
كنت أغمض عينيَّ وأكلِّم ما يستأجرني

محاولاً قدر الإمكان ربط الحصان النائم
لأفهمِ معنى أن يستيقظ بلسانِ فلكيٍّ؛
زرعتُ نظراتٍ كثيرة
بسهولٍ تنصرفً لاحتراقٍ أعمى
لم أكن أعلم
أن الغبار كان يختلق مناماً في صيام الزوبعة

كوخٌ صغير بين الأشجار

نافذة كوخٍ صغير بين الأشجار
تطلّ على سنواتٍ تأخّرتْ في اللحاق بالعربات المسرعة
بصفير العدم
هناك كانت امرأة تغني
وأحياناً تبكي بحرقةِ هزيمةٍ مبكِّرة
صوتها كان يشبه ظلال شموع ترتعد
فيما تموء الأعوام اليتيمة
علَّمتني ألّا أتورَّط وأكبر
وكيف أميِّز رائحةَ الصوت وأراه
ومتى أحصي نفسي كأسٍ كثيرين

كنتُ أراقبها من بعيد
أجاهد لأفهم الكلمات الحزينة
هناك تماماً حيث يهدر البحرُ وتقفل الغابةُ عينيها
من وراء نافذة كوخ صغير بين الأشجار
علَّمتني المرأة أن الزمن حفرتنا البغيضة
نحفرها دائماً
لنؤكِّد أننا أحياء

مبتهجاً بمملكة الهواء

لهذا القنديل المرتجف في العاصفة
أعطني ما أراه
ولتأكل النمالُ البيضاء عنبَ الليل الأسود
أهبطُ نسياني لأمزّق الصدى العالق بين المرايا
على ضفَّةِ النهر أُسدِّدُ وعلَ النذير
مبتهجاً بمملكة الهواء

لن أفتح البابَ لقذائف أخرى

أغلقُ البابَ لأراه بأيدٍ قديمة
ذاتها التي تعيد الطرقَ ولا أفتحُ
عندما كنتُ كرسيّاً كانوا يضعون فوقي شتلاتٍ
من أوزان دافئة
أو تفاصيل مسمومة تشبه الأحاديث
كانوا يحرِّكونني بعيداً أو قريباً كحجرٍ تلميذٍ
يحاول ألّا يرى أو يتكلَّم
طالما كنتُ منفرداً تحت شجرة
يتسلَّقني الترابُ وأكاد اختفي؛

الآن بينما ظهرَ صوتي مثل جزيرةٍ مسحورة
وأسدلتُ الستار عن التمال الكبيرة
بينما أجد وجهي وبقيَّة أطرافي
الآن والموسيقى تصدح بكل زاوية أختارها بعينيَّ
سأسمع الأصوات الجائعة
لكنني لن أفتح البابَ لقذائف أخرى
لم أعد كرسيّاً أيها الجباة.

في قريتي الحزينة

في طريق متعرِّجة تفضي إلى أحجار كبيرة
على أطراف أغنيةٍ بكماء
هناك قطارٌ محترق ووحيد منذ حربٍ بلغتْ رأسَ الجبل
عندما كانت اللغة أوَّل شحنة هرَّبها الجوعُ لسفن الأعداء
وكان الوقت الابن الشرعيّ للهزيمة
قطار وحيد ومتفحِّم
لازال المرهقون يصعدون إليه
لينزلوا في محطات نائية

رغم أنه لم يتحرّك منذ 1901

تاريخ بناء قصر الحاكم العسكري

في قريتي الحزينة

بالقرب من معصرةٍ سقط فيها فلاحون بصمت،

حتى وقت قريب

يردِّد بعض السكارى

أن عصير العنب له رائحة ناسٍ يعرفونهم

يومٌ مطفأٌ

يومٌ مطفأٌ
أرضهُ من سقمِ الزجاج
وسماء فكرته من عويل الفرائس
يا وارث دمعي
لا تقتل هذه الشجرة الصغيرة
ولا تأخذْ - على محمل النوم - عبثَ الهدير
نتبادل كالطهاة مواقدَ الإثم
وأبخرة الصدوع مجفَّفةً بالندم المتسكّعِ بين القشور
أبدٌ خطأٌ
في أواني المعلوم

أكبرْ قبل أطفالكَ الجوعى

من الوقت صنعنا كثيباً
سمَّيناه الصّدى
نأخذه إلى الوادي لكنه ينوي الزواج بحجارة الجبل
أكبرْ يا صغيري وخذ قوسكَ واذهب
لتلك النار الوحيدة
حيث ترتعد أصواتُ المهاجرين
المتوقّفة دون ظلال
محدِّقةً طوال العمر في الغزال الجريح
بين الرسائل
أكبرْ قبل أطفالكَ الجوعى

لكن الحرب كانت بلا أذنين

سمعتنا الناسُ
سمعوا أننا نرسم قلوباً بدل البنادق
وأننا محونا المجازرَ من ذهن المدارس
وحرقنا صورَ الدبابات ونكات المحاربين البذيئة
وخلَّصنا بقرةَ النوم من طين الأرق
وأهدينا لكل عاشقٍ وردةً وبرتقالة
سمعتنا الناس
لكن الحرب كانت بلا أذنين

لم نجد يداً تؤكّدِ غبارنا

قطعنا مسافةً طويلة
وزّعناها على طاولةٍ من هلالٍ بعيد
بين الريح ومياه الكلمات
كنّا نظرات تحتشد كغابةٍ تلد الصّدى
نحمل تراباً عارياً وحقائب لناسٍ كبروا
لانحناءِ الفراغ الحاجبِ أميرِ القشِّ الممتدَح للهدير
والعسل البريء من جهر الوردة
وكثبان الضوء،
قطعنا مسافةً طويلة
ولم نجد يداً
تؤكِد غبارنا

أشياء لن نفعلها أبداً

ثَمَّة أشياء لن نفعلها أبداً
نفكِّر بها ونضحك
نجالسها كانتحارٍ حميم أو هزيمة متقنة
نجمعها مثل ريش حكايةٍ مسافرة
ونحملها بنمالِ فراغنا إلى هذرٍ طريد
نمسِّد شعرها حتى تنام
لكننا أبداً نضحك ولن يكون بمقدورنا
أكثر من ذلك
حتى لو بكينا

جرادة الحنين

النيزك الذي وقع بيننا عاد إلى أرجوحته
والسفن التي رسمناها أبحرت بالغابة
من كل غصنٍ زياراته العالقة بمعاطف الشهيق
والناس، كل الناس ماتوا وهم يتبادلون الحياة
ونحن نشاطر الرياح ما خسرناه قبل الهبوب
نقسم بالمفاتيح أن المفاتيح تبكي
ونحصي الشوارعَ والنوافذ لعلَّ جرادة الحنين
تأكل ما ينجو من تهمة البياض
والبياض يدوِّن شكلَ السّمع الطليق

في الثلاجة

في الثلاجة
رأس العام الماضي
حيث نحتفظ بالقتلى
الذين ينهضون مرّةً واحدة
لرؤية الشموع وارتداء الأيام الهزيلة
لمشاطرة الفوضى دسيسةَ النظر
للعقِ تراب الأرواح المجفَّفة بتوابل الأقفال
لسهرةٍ تنجز غيابها؛
في الثلاجة

أسنانُ حليب الساعات المطرودة
من شموس البقالين
ورؤوس سنواتٍ كثيرة
تضحك كميناءٍ يُزرَع بآباء المجهول
بينما هناك كالعادة
من يبكي

قريباً جداً

طائر في يدي
ينتقي مدينةً ويختفي
وعلى الشجرة
طيورٌ أخرى
ستأخذ المدنَ والبحار والغابات
وتذهب؛
قريباً جداً
لن نجد زاويةً نصنع فيها صداقةً
من الحلوى
ثم نأكلها عندما تخون

محطة لا غير

لا أنتظر أحداً
فقط أتدرَّب على احتمال وجودِ محطةٍ
تسلك ذلك الطريق المعبَّد بالراحلين
محطة لا غير
تذهب وراءَ نظراتهم الأخيرة
نحو اللامكان الأعشى

أُجفِّف شَعرَ الظلِّ الذي صار معي

أنا الآن فوق السطح
أراقب المطرَ مثل ولدٍ لا مبال
تتوِّجه الذكرى بمصابيح تبتعد وتقترب
نخيولٍ لا تعرف أين تجد نسيانها
كأيامٍ تريد الحياة في مكان لا يذهب سدى
تقتلعني دمعةٌ،
أحاول المكوث لكنها تأخذني بعيداً
فأهبط الدرجَ
لأجفِّف شَعرَ الظلِّ الذي صار معي

الغبار الأكيد

مجفَّفاً كنهبٍ وسيط
كشديين من عدلِ الطواف
سيحشد آخرَ قهقهةٍ في توبة الدحض الآسن
وقدور المغيب
ويرمق أوّلاً ريشَ الملاذ عائداً لطرفةِ حجرٍ
على حجرِ المستحيل
وهو يدفع جيوبَ الهجوم نحو الطعنات الأليفة
للغبار الأكيد

ينامون وتجد القطط ما تأكله بجوارهم

المشرَّدون تحت العاصفة
يفكِّرون بحليب دافئ وزوجاتٍ من البنِّ
يرتدين الهواءَ الصغير
وأطفال يختبئون طالما تسقط الحجارة
من نظرات الصمت
ويحلمون بأبواب عالية وغرف للصّور
التي عبروها أو تركتهم وماتت بلا تاريخ
ترسمِ أصابعهم زوارقَ داخل عيون كبيرة
أمتعةً مهيّأة للكلام
وينامون دائماً إزاءَ ما يعتريهم
ينامون وتجد القطط ما تأكله بجوارهم

حبلُ الأيام

كان لنا حبلٌ نربط به الأيامَ السعيدة
كلما عبرَ شخصٌ حزين أخذَ ما يلائمه ومضى
إذا بكى طفلٌ ناولناه يوماً من الحلوى
والحكايات
أو ضاع مسافرٌ أهديناه يوماً ليصل
كان حقل الأيام يكبر
وظيفته أن يتبع مالكيه الآخرين
أو يسير أمامهم
أن يشعرنا بجدوى النظر في وجوه الناس

والشوارع والأشجار
أن تعيش طفولتنا يومها الأزليّ
لكن الحربَ قطعتْ كلَّ الحبال
وأضرمتِ النارَ في الحقل
ولم تجد يوماً يتذكَّرها؛
كل ما فعلته
أننا صرنا أياماً من قصاصات نازحين

لا تصل

لا تصلْ
لا تمنح الكذبةَ يداً
تطرق أبوابَ الثغور البعيدة وهي تدوِّن اعتزالها
يلهمكَ وسيطُ الضباب حكاياتٍ
فلا تستمع لغير ما نسيتَ ملامحه
بين دفاتر الكمين الأوّل
حيث مُنِحتَ سبباً لتستغيث باختزالِ المتاه دفتراً نائماً
وأسماء عديدة لا يناديكَ بها عدسُ البروق
لا تصلْ لئلّا يلفِّقكَ اصغاءٌ عليلٌ وينتهي شبحُ الهبةِ
في ثرثرةِ ملاعق خرساء

لا تصلْ

لا تقتلْ مكاناً بذئابكَ الجائعة،
الذين وصلوا لم يجدوا أحداً في انتظارهم
لم يجدوا أيديهم ليطرقوا باباً أو وهماً أو نسمةً
واكتفوا بالنظر حيث لا مكان ولا سياج لشكلٍ
والأرض الكبيرة مجرَّد خيوطٍ
من الشكِّ والقبعات المحترقة
لا تلوِّث النهرَ بذنبٍ يتلألأ في رأس المسافة
ورأس الغبار
لا تصلْ فالأبواب كلّها مقفلة
والعناوين غارقةٌ بين الشظايا.
لا تصل، لا شيء يجيد انتظاركَ؛
صار ريحاً ما رجوتَ منازلَ طفولته،

صار رماداً يلوذ بكَ؛
ألا إنه أنتَ الآن
أنتَ الذي
لا يصل إلى نفسه،
لا تصلْ

نسمع نواحاً وراء الأشجار

يصغرني أخي بنظراتٍ قليلة
أعطاه الوقتُ حمامتين
وذراع ابتسامة تكبر بألعاب محفورة على الجدار
ولأنه بلا بيت
رسمنا لأجله منزلاً أكبر من جريمة الذهب
وأجمل من برتقال الفضّة
بيتاً ومراجيح للحمامتين والذراع
بيتاً يتباهى به أمام أحلامه المؤجَّلة
بوسعه أن يزيِّن أركانه بصور الأشجار
التي يحبها أيضاً
يقول لي: لو كان لي بيت سأجعله غابةً

فنرسم أشجاراً لم يرها قبل الآن
ونحذِّره من الخنازير البرّية والذئاب فيضحك
ويشتري بندقيةَ صيدٍ من حانوت أفكارنا
وعندما يشعر بضيقِ غرفةٍ ما
نزيل جداراً ونجعلها أكبر
فيبتسم حاملاً السجاد المرسوم والطاولات
والمرايا الملوَّنة.
يصغرني أخي بأكثر هواياتي رواجاً بين المياه والنجوم
عندما مات أبي صار يقبِّل رأسي ويخلط بيني وبينه
يناديني باسم أبي فأبكي
ونادي أبانا الذي لا يردّ فنبكي معاً
ونسمع نواحاً وراء الأشجار
نشاهد فيلةً تهاجم النوم
وتدوس رقابَ أيتام آخرين مثلنا نادوا طويلاً

وبكوا

ما نراه الآن ما نسمعه يصير نديّاً

عيوننا ترشح كجرّةِ الأبد

لم نكن ندرك أن الأب ربما يموت قبل نهاية الدنيا

وأن النظر إلى الأشياء سيصاب بكل هذه الوحشة

لم نكن نعلم أن الأرض

ستكون فارغة

بدون الرجل الذي كان ينظر بعيداً

وهو يذهب.

من يلعب مع الطفل الوحيد يا أبي؟

من يلعب مع الطفل الوحيد يا أبي؟
من يبني معه قلعةً من الرمل
ويثرثر حكاياتٍ عن غولٍ لا يتحدَّث للناس
لكنه ينثر رماده فيرتعد الظِلُّ
وينتبه العابرون لشيءٍ لا يرونه
من يسهر قريباً حتى ينام التعبُ
وهو يختلس نظرةً نحو قمرٍ
يريد جرعةً أخرى
من الضحك ليستردّ صوته

البكاء في بورما

البكاء في بورما بلا دموع

الحزن في بورما لا يتكلَّم

عاملُ النظراتِ يرسل أطيافاً لخشب القوارب

يهرِّبُ سمعَه وذكريات ضحكٍ قديم

يتفانى كي ينسى أصابعه

وهو يلقي إشارةً صغيرة نحو السماء

ويموت بطلاقة

كما يحدث في مخيّلة التلاشي

لا أحد يمرّ بجواره

لا أحد يستمع إلى صمته

رصاصة وحيدة في المسدّس

يحتفظ برصاصة وحيدة في المسدّس
ليقتل بها العدوّ دفعةً واحدة
يقول إنه سيجمع الأعداء كلّهم بجسدٍ مكشوف لانتقامه
أو ربّما سيقتل بها السأم وضجيج المذياع
الذي يعلن نهاية الطرقات بسواتر ترابية
حيث يلعب الأطفال جنب الحرب،
وخلال الهدنة يلوِّحون للمسلّحين بالصفير والشتائم
وربّما - كأمرٍ متروكٍ للصدفة - تصير صديقةً
شغوفة بالحكايات
وكل ليلة
يروي لها فصلاً من ذهول القدح القمريِّ
يدعوها لصريرٍ يؤخِّر عنادَ المجهول

غبار الأمس

كان فارغاً وثقيلاً
القاربُ الذي انتشلناه من مزاعم الأمواج
وأسنان الملح
ما زالت أرواحُ الغرقى ساهرةً
بين ضلوعهِ الممزَّقة..
ونحن نفكُّ سِحْرَ المسافة عن كسوف نظراته
رأينا ظِلالاً تغادره بحقائب
ملآى بالأنين
كتباً تُقْرأُ على الضباب

تماثيلَ من حصادٍ لونيّ
ورأينا أوسمةً تذوب كلّما اقتربنا
من غبار الأمس

حتى لا يفكِّروا بالرحيل

أرسمُ وأطفالي
أطفالاً آخرين
نناديهم بأسماء تشبه أسماءنا
نضع بين أيديهم تجاربنا القليلة
في حادثة الحياة
وعندما يشتدّ القتال نهرِّب معهم الشجرةَ
وراءنا،
صرنا أكثر عدداً
وفي العيد سنشتري لهم الهدايا
حتى لا يفكِّروا بالرحيل

الليلُ اسمكِ

الليلُ بحَّارٌ يخفي عينيه بقبّعة انتصاراتٍ
لا تفضي إلى مراتب السِّلم
الليلُ أحجيةُ المُهلِ كملوكٍ قطعوا الرذاذَ
من أسواق الشّكل
فأمالوا المدنَ لتهوي جداجدُ الكلام
المخبّأ في نفسه وأذاعوا اتّفاقَ الضّجر
بين الشرفات الفارغة
والليلُ اسمكِ
يُغمى عليه خميسَ السّبت الممتنِّ للشاربين
وإنه لقولٌ سديدٌ أرقُ النعام المذبوح
قولٌ لا يحمل جداله الرّضيع
لا تُظلَمُ فيه شبهات الملح

مأوى الفراغ المكتظّ بالعاشقين

أنحدرُ من مدينةٍ ترتعش
دائماً أمسح عن عينيَّ القشَّ الذي تتشبَّث به
أصابعُ الغرقى
أمسح خدوشَ صورةٍ أتخيَّلُ انتظارَها
أتوهَّم الشجرةَ باباً أطرقه وتفتح يدٌ أُحبُّها
أُقبِّل نسياني لكلِّ الحقائب
وثروتي من عطور الجهات؛
يُقال يدي الصغيرة
مأوى الفراغ المكتظّ بالعاشقين

مفتاحُ أثريٌّ

نعم.. الواقف بين عراك ضفَّتين
الناجي الوحيد من طوفانٍ لم يُذكَر
الصغير كأوَّل رشوةٍ بين الماء والنار
هناك حيث ترك الراحلون أصواتهم
كجزرٍ لا تسكنها غير التعاويذ
المقطوفة من نزالهم القديم
تماماً.. حيث يلتقط الفقراءُ أسماءهم
من خزّانات الصّبر
والإسكافيُّ يبرهن رجوعَ المسافات لمرماها
نعم.. إنه قلبي
وفي جيب سترته مفتاحُ أثريٌّ

لا ذنبَ لي فيما رأيتُ

النومُ ليس بخير
وقافلة المسّاحين أتمَّتْ حشرَ البغال
في زاوية الغسق المثقل بنعوش الغيب الحجريّةِ
وضَلالِ التفاح المزرقّ بلدغات المُقَبّلِينَ زواجَ الحدِّ
بثورَ الجحيم
والمرفأ على ما ضجروه
صلُّوا قيامَ البارود المهرَّب شبثاً وأرواح مضغٍ
لما لن يتذوّقوه في قدور الرمل
ولن يروا ما أضاعَ السّيلُ

يا سيل
خمرةُ الزحف مركونة في جرارٍ نُقِشَتْ كالجرار
أُقسمُ بحنثِ الصّدى
وبريد الطحين المسيَّج بالغيظ
لا
ذنبَ
لي
فيما
رأيتُ
هذه الأرض حفنةُ اللَّهبِ الشعيرِ
تفاحةُ الداء
تُجوَّفُ كمحارةٍ تمتصها أفعى النفير
وتُوضَعُ شرطاً لمكابداتِ المرافعين وجدال الحظوظ
نزقاً شهيراً بجسارة المنفى

معلَّقاً من رئة الزيارة على ذات الفنارات
النائمة كطينٍ يُؤخَذُ
على محمل السّبت في نثر الأربعاء؛
هذه الأرض أبعد من ذاتها
مجرة الغبار المؤرَّق
تباعاً يمرّ البنّاؤون، أعرفُ أسمالَ
الممدَّد في خطواتهم
لينقسم الضّجرُ بين الدكاكين
ليقسِّموا ما غادروه إلى ما غادرهم
ولا يبنون جداراً سائغاً للموت؛
هذه الأرض علكة سائلة
أبداً لا تُدار بين طبول الرواة
العائدين بأسماعهم

البقاء ساعة انتحار

إنه الملجأ

حبلٌ قصير بألوان الطيف

زجاجة فارغة كان بها شكٌّ وتراب

بحرٌ تزوَّجَ دميةً متوفاة

نافذة تصفِّر

كلاب مجروحة تتبادل الشتائم

نعاس على حافّة الرصيف

منادون قرويون بأرجلٍ مقطوعة

وعربات تبتلع الضباب

ثمَّة من يتظاهر بوجودها

وهو بلا رأس؛

البقاء ساعة انتحار

غداً تشرق أفعى جديدة

كان عليهم الخروج
قبل انتهاء الحصص المكدَّسة للشظايا
وكان كافياً أن أغلق البابَ بنظرتين
وأمزِّق الصورَ الباقية لرحلة الأُجُرّ
المتساقط من أكمام الغسيل؛
غداً تشرق أفعى جديدة
وتلدغني ثانيةً
من نفس الرنين المتأخِّر قطاره لسببٍ معلوم

لتمرّ العربةُ

هل تنتظر أحداً؟
أنتظر عربةً تدهسني وينتهي الأمر
كنتُ أجيد انتظارَ أصواتٍ بعيدة
أضمّها كصدرٍ عزيز
ونتبادل الركضَ بين مسافاتٍ نتوهّم حضورها
كنتُ أيضاً أقسّم الوقتَ مثل شطائر ساخنة
وأبيع البرتقال بهيئةِ أناشيد
كنتُ أعرف متى أخرج لزيارةِ شجرةٍ
أو صدى
لكنني لم أعد قادراً على رؤية شيء

اشتريتُ مرآةً لأهشمها وأسير فوق الزجاج

أحببتُ غابةً فابتعدتْ،

لتمرّ العربة

ولو قريباً

من فراغي العظيم

سينهض أحدنا ليغلق الباب

ضجري وأنا
وكائناتٍ أخرى أذهلها مشيبُ الوقت
قرّرنا تغييرَ زينةِ الطاولة التي يتمدّد عليها الانتظار
مسحنا قرنَ الثور بزيتٍ يرتعد في وحدته
وكشفنا عورةَ الميثاق لشهبٍ عجولة
وكتمنا عددَ الشهور الممحوّة من التقاويم
ثم أسدلنا منظرَ البهجة الأخيرة
ورأينا أكثر ممّا يعدّون:
ضباباً ينفرج عن سفينةٍ تمخر الساعات
وريشاً يتكلّم لغةَ النّوم؛

سينهض أحدنا

ليغلق البابَ عائداً نحو الفاكهة المدانة

بالحرام الحلال

الآن تجلس الصور لرؤيتهم

بين غيمةٍ وأخرى
يجلسون لرؤية الصور القديمة:
هذا أبي قبل موته بآهتين
أمي عندما طبختْ لنا الحجر حتى شبعنا برائحة التاريخ
عمِّي الذي صار وحيداً
كان يدهن البيوتَ بالضحك
هذا بحر أو جبل،
المنظر ضبابي لكنها الحقيقة:
غابة أو كلمات ساهرة.
انظرْ أليست هذه صورة الرجل
الرجل الذي غرقَ بعد قليل من البكاء؟
حصانٌ نائم وعلى ظهره بقايا مسافرين

طريقٌ أو معصرة تستلقي
نهر وبطٌّ وأطفال يسرقون العنب؛
بين عُمرٍ وغيابٍ يجلسون لرؤية طفولة الساعات
يرون أنفسهم كثيراً،

الآن تجلس الصور طويلاً لرؤيتهم

المتروك عارياً مثل الحياة

طمعاً في ارتجالٍ مؤيَّد
بابُ المغيب مفتوحٌ على غابة أصوات
يدُ المرأة تنظر
نحو شبحٍ يمزج الهواءَ
بينما يتسلَّق عنكبوتٌ تائه بيتَ الأشكال الميِّتة
يُسْمَع هديرٌ بين الأغصان
يترك خيطاً منسيّاً كشعرةِ شمسٍ أخرى
وعلى الشاطئ
الأمواجُ ترتدي وجوهاً لا تعرفها
ستطرق أبواباً، هكذا لا غير،

أبواباً ونوافذ إذا لم تجدها
ستدرك أنها خرجتْ قبل نضج الموت
المتروك عارياً
مثل الحياة

كآخر أرنبٍ ستأكل اللهاث

هذه المدينة بلا قطاراتٍ
وبلا مسافرين
بعضهم يرسم عربةً أو محطة
ليذهب أو لينتظر
بعضهم ينشئ سرباً من الحمام
ليجد حديقة أو بيتاً،
الناسُ في عجلةٍ من أمرٍ
لا يمتّ لهم بصلةٍ
يلتقطون رماداً كأن كلماتٍ يشعلونها
أمام الليل الأعمى

ليرى المزيدَ من ظلامه
يقذفون أوراقاً من أعوامهم
يكتب فيها الضّجر سيرته.
هذه المدينة بلا شيءٍ
كآخر أرنبٍ ستأكل اللهاث
مستسلمةً للطنين المُحَتَمَل

كحجارةِ الكلام الأخرس

هل هناك شيء آخر
علينا ألّا نفعله أيضاً؟!
نحن وحدنا
نضيف السكَّرَ للطين
ونشرب ما ندّعيه بين مكيدةٍ ونابٍ طليق:
كل شيءٍ بخير حتى الآن
وكما ينبغي سنجد طريقةً ما
لأمرٍ لا ندريه
نغلق به الدائرة التي سننام وسطها
كحجارةِ الكلام الأخرس

كلَّما أردتُ الكلام

وإن كنتُ أطلقتُ سراحه بين المنشدين
نسيتُ من أيّةِ قناديل نفختُ فيه الضياع
من أيّ ذئبٍ سرقتُ له عينين
من أيّة أودية علَّمته الشرود
ووقفتُ على رأسه أوصيه بمحو الظلال
التي يتركها المارةُ كمواعين البرق
يا للفراغ
في اليوم الأول علَّمته النوم
وفي آخر يوم لم ينهض من السرير
أصطفيه

فكاهةً
كلَّما
أردتُ
الكلام

عليهم أن يتقبّلوا الأمر

قبل انفجار القذيفة بينهم
طلبتْ من كل واحدٍ أن يجلس هادئاً
أن يهمس لنفسه بالأشياء التي لم يجدها بعد
أن يكرِّر نظرته الأولى
النظرة الثانية اثمٌ جاهزٌ بدواوينه
أن يرتدي الجميعُ حزناً لذيذاً كقناع
أن يرسلوا عبارات الشكر لحشد الضباب
أن يشبكوا أيديهم كأطفال يتسلّقون ظهرَ الحكايات
للّعب مع القمر
وعليهم أن يتقبّلوا الأمر
برئات واسعة
طالما كانت تتنفّس بلا جدوى

فرشوا سلامَ الرياح

وأنا أضع الغابةَ مكان البحر
كنتُ اعتقدُ أنهم سيتمهلون
قبل ارتكاب الأشياء بمزاجٍ مغاير
قبل أن يتشبَّهوا بخرافة طفلٍ يتيم
لأن ما تعوَّدوه أخذ صورته من أبٍ كذَّبَ وجود البحر
ومات غرقاً
ومن أمٍّ تعجن الدعوات ليروا أنفسهم
ظننتهم سيلقون بمنفاي من أعلى القصر
الذي أبنيه للناس وللجنِّ
كنتُ سأضحك وأعيش مكتب اتجاهاتٍ للعابرين
لكنهم ببساطة

كانوا يجرّون قواربهم نحو الغابة
ويعودون آخر الليل
بأسماك ترتعش
وتفوح من ضحكاتهم رائحةُ الأمواج؛
كعائدين منِّي
فرشوا سلامَ الرياح

أكثر ممّا يحلم الطوفان

لا أستطيع النظر إلى الجحيم
وهم يكنسون ساحاته
ويزيّنونها بأحجياتٍ خرساء تتأهَّب
لقتل البقيَّة
لا أستطيع أيضاً
أن أرسم شيئاً تدهسه العربات المسرعة
لأنه من ترابٍ لا يتكلَّم
تلك العربات التي مرَّت على جسدي ولم أمت
مرَّت على الهواء
وما زال القلقُ يتنفَّس
مرَّت على كلام المسافرين
لكنهم تحوَّلوا إلى طيور

وأخذتهم غمامةٌ بعيداً عن الأضواء
عن اللصوص والمهرّجين
عن الغرقى
الذين أتاحوا للأمواج أن ترتفع أكثر
ممّا يحلم الطوفان

الذي عاد من قريته النائية

الذي عاد من قريته النائية
خلفه سارت أشجارٌ وأودية وأحاديث
عندما أراد أن يتفقّد الفراغ
صار ظلّه يمشي للوراء
ومن عينيه خرجت صورٌ وأمكنة
تلوِّح للبحر والنهر
وللناس الذين هبطوا من مراكب باله
وبنوا مثل شكِّهِ
نظراتٍ سكنوا إلى صمتها

ضجرٌ على الشرفة

كان هناك ضجرٌ على الشرفة
يروي للعابرين منازلهم
ويكتشف آخر النهار
أن خطواتهم الباقية
تنصب خياماً
وراءَ كومةٍ من جثثٍ أخرى
لم تصل
وأن الزمن وحده
ظلَّ يكذب حتى انتهى البحر
من غسل أفكاره العديدة
وظهر الحوتُ

ليقذف متاهةً أخرى
تبحث عن أفقٍ من تراب
وأرضٍ من سحب جافة
لناجين بلا رؤوس
يحملون الزحامَ الشهيد
مثل طاولةٍ سينام عليها من لا يستطيع
إضافة الكثير لما لا يحدث

كل يوم تصير يدي عصفوراً

من فتنة الصواب أن أخطئ أحياناً
أو أحفر الأرضَ بحثاً عن اسم وردةٍ
لا وجود لها
ربّما هو السأم
ربما لأن ما يترهّل فوق التراب
سرعان ما يخون.
كل يوم
تصير يدي عصفوراً
تكبر فكاهتهُ فوق كنوز الانتظار
وتكبر خطواتُ العابرين في بقائهم
كلَّما ابتعدوا

صورة

عندما أخذوا له صورةً

وجدوها لقاربٍ صغير

صوَّروه ثانيةً

ظهرتْ حمامةٌ على شجرة

ثالثةً، كان منظر السماء رماديّاً

في المرَّة الرابعة

وجدوه يُخرج من صدره البيوتَ والحدائق والضباب

كان يضحك كوصيٍّ

يعبث بالأمانة

في المحطة

في المحطة
ناسٌ ينتظرون أنفسهم
ناس يتخيَّلون الوصول إلى أمكنةٍ بعينها
ناس يتكلَّمون بنظراتهم
يشربون الهواءَ البارد وهم يتابعون السحب
ويتذكَّرون المنازلَ حيث سيلقون بمعاطفهم المبلّلة
على كرسيٍّ أو طاولة
ناس يعدِّدون أرانبَ الصمت أو الكلام
ناس وحدهم
في المحطة
وحدهم
ربما لن يروا أنفسهم

النائمُ غبارٌ

النائمُ قصيٌّ في وردته الملفَّقة للهتاف
ممدَّدٌ على جسور متعرِّجة بسلالة أختام
ظاهرها باطن أرجوحةٍ بيضاء،
ممدَّدٌ قرب فتات يقظةٍ مدَّخَرةٍ لمُهَلٍ أخرى
محض مُهَلٍ بلا سبب
مُهَلٌ لاسترداد المقبض
لتسويةِ العدد الأخرس والمقطوع من لهاثه
النائمُ غبارٌ
يحوِّم على صورةٍ في النبع
يقلِّد ما يتراءى لضبع الهواء،
غبارٌ بكدماتٍ وسلاسل
غبارٌ لا أكثر

غبارٌ سيمشي على قدمين منهكتين
ويطرق سمعَ الأجُرِّ مطعوناً
بسيفِ القضاة .

أحدهم لم يكن يعلم

أحدهم تركَ عبارةً
بين العتبة ونصف ظِلٍّ لزلزالٍ:
طرقتُ طويلاً، سمعتُ الهدير ومضيتُ.
أحدهم تقريباً
هربَ متخفّياً من شتائم ملاكٍ بدراجته العاطلة
قرب الفيلة التي تحرس منجم الصمغ
والمتأهّبة دائماً
لهدم القلاع الضائعة
والقطارات المهجورة بعشبٍ يتفرَّس المارّةَ
ولا يستطيع القفز
أحدهم لم يكن يعلم
أن الغابة والبحر والجبل في ضيافتي

وأن المسافة إلى الباب

لم تعد تشبه ما كان

الكيلاني عون

كلبٌ أعرج يتشمَّم جثَّةً دافئة

الطريق فارغة
ليس أكثر من بعض الساعات المحطَّمة
وبعض مرايا بوجوهٍ عالقة كتماثيل غير منجَزَة
قمامةٌ لتسلية الرياح
عرباتٌ توقّفتْ إلى الأبد
وكلبٌ أعرج
يتشمَّم جثَّةً دافئة
لمدينةٍ لم تعد قادرة على الصراخ

أخذني طائرٌ لمكانٍ بعيد

مرَّةً أخذني طائرٌ لمكانٍ بعيد
تركني وحيداً ونسي أين وضعني
هو الآن في قفصٍ مهاجرٍ
وأنا سرقتُ الغابةَ عائداً لبخار الدويّ المجنّح
بقفافِ الضوء
ونصيبٍ جوّال ينحني للمارّة

شيءٌ لم نقله بعد

هناك شيءٌ لم نقله بعد
كأنَّ مارداً يمنع الكلمات أن تطلَّ برأسها
على الشارع
وتردّ سلامَ ناسٍ لم يعبروا
أو أنهم في تلك اللحظة يتأمّلون الأفق
ويعزفون عن الخروج لأن العاصفة قريبة
وأيديهم المقطوعة مشغولة
بجوز الرسائل

المنشدون وحدهم

يجلس المنشدون على مقاعد متربة
على هررةِ الفجر تموء أرصفةً
وحراشف لابتياع الضوء
وحدهم بلا جمهور، بلا وجوه
يُسْمَع الرعدُ
لكن أحداً لا يقدِّم وردةً
لكل هذا الفراغ السخيّ

وصلوا وذهبوا

انتظرناهم طويلاً
وصلوا
أخذوا صورهم بقناديل البحر من عيوننا
وذهبوا
سبعة أحجار رماها صمتٌ عتَّالٌ خلفهم
واهباً كبدَ الظلام إغلاقَ بابٍ
سيتابع
دردشةَ الخسوف

نحن العراة الأوّلون

نحن العراة الأوّلون
نمضغ الهواءَ لنسمع الأنين
ونفتح النهرَ لنقفز كآلهةٍ تبحث عن الكنز
كإرثٍ طليق
يخلق من ريشِ الساعات ناساً
يتقاسمون ثغاءَ الرماد الأعمى
ويرميهم الضّجرُ
بأسماء لا ينامون بجوارها كما يعتقد الغرابُ

غالباً سأصير المحطة

أين سأُمزِّق ورقةً أخرى
وأتركها لعشاء البرد؟
أين سأُحبُّكِ وهذا الضجيجُ لا ينام؟
إنها أرض العناوين والنوافذ العجولة
تطلِّين من القطار
وأعود للشجرة القديمة
غالباً سأصير المحطة
لمسافرين لن يمرّوا بها

يرى استغاثةَ ما ينساه

بوسعه احتمال ثرثرة بحّارٍ ميّت
ومشاطرته أقواسَ النصر الذبيح
وغنائم التوت على جدران الغياب
لديه ما يكفي من الأصابع
ليعدّ النهرَ غريقاً غريقاً
والمدينةَ رماداً رماداً
وأن يظلَّ ساهراً يؤدِّب الفراغَ الهارب
بأقداح الأزل
حلاقو العاصفة لا يرونها
وهو يرى استغاثةَ ما ينساه

عامل إطارات

أنا عامل إطارات
إذا خذلتكم العربةُ في منتصف الرحلة
ستحبّون رؤية ابتسامتي
ستبحثون عني قبل كفن الحقيقة النائية
الرابضة كالقط الجائع بعين المسافة
قبل غواية المتاه وتراب خيمته الشريد
وتجلسون على ذات الحجارة
حيث جلسَ ناسُ وصلوا
وناس ما زالوا يتحيّنون اكتمال وجوههم
لرؤية شيء جدير
بالذهاب إليه

ربما لن يراك أحد آخر

صباحٌ بارد
موسيقى عظامه المرتعدة
تبحث عن غطاء
غطاء تكمل به النظرَ القليل
إلى العابرين المغسولين ببقيَّة الصمت
منذ البارحة؛
خذ هذه القهوة أيها الصباح
هذه المظلة
وهذه الأغنية التي لم أُفكِّر بها طويلاً
وأنا أحدِّق كطفلٍ
إلى صورةٍ لا موجودة

ليومٍ بعيد
لم يعد له مكان سوى برأسي
خذ هذا المعطف أيضاً
ربما ستمضي كثيراً بلا جدوى
ربما لن يراك أحد آخر

لم يتغيَّر شيء

في مزحةٍ سريّة تبادلتُ وظِلّي أدوارنا
لبستُ ثيابه ولبس ثيابي
علَّمته كيف يتجهّم أحياناً
وعلَّمني ألّا أعير التفاتاً للرصاص
أقفلَ هو الباب
وزحفتُ بجواره،
لم يتغيَّر شيء
كانوا ينادونه باسمي
يشعلون له بعض اللفافات
يمازحه أصدقائي ويصفّر مثلهم وراء النساء،

لم يتغيَّر شيء
لكنني شعرتُ بأقدامهم القاسية فوقي
بينما لا أحد يتساءل
من أين يأتي الأنين

صاروا هم المحطات

الناس الذين ترتديهم القمصان
سقطوا من ثكنات النوم
سبقوا ما يشغل المصبَّات كانقضاضٍ منتهَبٍ
أراحوا المجاذيفَ ولم يسافروا؛
تأتي المقاعدُ
تجلس قليلاً فوق الناس وترحل
لا ينظر الناسُ
إلى القطارات والسيارات والذاهبين
لأنهم صاروا هم المحطات
وعليهم مثلها
أن يلوذوا بالصمت
تاركين عيونهم تحت التراب

استيقظوا ولم نرهم

النائمون يتعرَّقون،
نومهم ضبابٌ بعيدٌ يرقص كرجلٍ
تعرَّف أخيراً على اسمه،
كعربةٍ عمياء
تصل البيتَ حاملةً كلَّ الوجوه الغائبة.
النائمون نجوا من غرق الهواء وديون اليقظة
من الأرصفة والأسعار
وأعادوا الركامَ إلى سابق أبوَّته.
تخرج عيونهم من الشبابيك والأبواب
تمضي بزجاج الأرض
تاركةً بأذهاننا وهمَ بقائهم؛
استيقظوا ولم نرهم
يبدِّلون ستارةَ الفراغ

سُرِقتْ مِنّي أقلامٌ كثيرة

سُرِقتْ مِنّي أقلامٌ كثيرة
أخذها أشخاصٌ وأنا أتنزّه ببطء على ظهر الحوت
حملوها في جيوبٍ مثقوبة
فسقطتْ وعادت وحدها
لأنها تعرف البيت وساعة الحائط
بدقائقها النائمة على البلاط
واللوحة القديمة التي لوَّنتها الأمطارُ
وما زالت في الحديقة

كم الساعة الآن؟

يعبر كل يوم أمامي
العجوز الذي يسألني دائماً:
كم الساعة الآن؟
إنها الخامسة بفردة حذاءٍ واحدة
يبتسم ويمضي؛
أنتظره أحياناً
كلانا يعتقد أن الساعات
ستمشي حافية
ستجوع قريباً ولن يكون هناك أحد
يسأل عنها
منذ تلك اللحظة عندما
رسمناها معاً كشيءٍ يتلاشى

وهي تبكي
تماماً مثل ابتسامة العجوز اليوميّة

البيضة الفاسدة

الأمواجُ ناسٌ تعبوا من الرحيل
تعبوا من قراءة الغبار
ويريدون العودة لمكانٍ ما
ناسٌ بين متاهتين
يديرون طواحينَ الغياب
المدُّ خطواتهم المضطربة، هيئاتهم التي تحاول
عبورَ الفكرة
والجزرُ خوفهم من البيضة الفاسدة
تلك الواقفة على الشاطئ
مثل غرفٍ تشتعل باللاجدوى

كما لو أن ولداً سيغرق

وقع مني كلامٌ كثير
كان يمشي معي يائساً ممَّا سأتذكَّره
ونحن نقلِّب الترابَ
بحثاً عن كلامٍ آخر
وجدنا عيوناً وأصابع
تشير للأمواج البعيدة كما لو أن ولداً سيغرق
تاركاً اسمه مبلَّلاً بما لم يحتفظ بمأواه
وهو ينظر لدمعةٍ سقطتْ
من جدارٍ وحيد

سجين

يتسلَّق الظلَّ المتخيَّل ليرى الشارعَ من نافذةٍ عالية
عاليةٍ وصغيرة لا يمكن عبورها
مثل وجهٍ ضئيل يتنفَّس بصعوبة؛
في الجهة المقابلة زجاجةٌ فارغة
منذ أيام وهي هناك
رماها شخصٌ
لا يجيد الاحتفاظ بالأصدقاء
وربما سقطتْ من شاحنةٍ مسرعة
ربما تبحث عن عينٍ تراها وحدها
وربما لا شيء من كل ذلك
لكنه غداً

أو بعد غد

سيرى بجوارها زجاجةً أخرى

هي ستجد رفيقاً

مكاناً تشعر فيه بالهواء

وهو سيظل بنظراته

قادراً فقط على التفكير بحكاية أخرى

فوق ظلٍّ يرتعد

كل يوم يقف أمام البحر

كل يوم
يقف أمام البحر
يدخِّن لفافةً ويعود
كان غالباً يضحك قليلاً
وهو يلتقط شيئاً بأصابعه
رسالةً أو نظرة.
وعندما يغيب
كانت هناك أوراق تحترق
وعيون تقفز إلى الماء
ولفافة وحيدة
تنام على أثر قدميه

في كل مرَّةٍ أختار شيئاً

لم أعرف وجهي في المرآة
هناك بيوتٌ وأسماك وأشجار وناس
طرقاتٌ وأنهار وطيور
مركبات وأحاديث
ظلالٌ ومنارات ومدارس
لذا أقف طويلاً أمام المرآة
في كل مرَّةٍ أختار شيئاً يلائم خوفي
ولا أذهب لأي مكان

وحيد بوجهٍ مطفأ

لأنكَ وُلِدتَ تحت شجرة
هي الآن مقاعد في الرماد الطليق
وساق لجنديٍّ نسيَ مفتاح البيت بجيبه ومات
ودمية بعيونٍ تبكي
قالت له أمه
لا تذهب بعيداً لأن الطيور منهكة من الحريق
وأنتَ وحيد بوجهٍ مطفأ
تجرّ الهواءَ لتتنفَّس النوافذ

طهو الفكاهة

الماضي دكان
اشترينا منه الأيام مقابل أسماء غامضة
تزدرينا أحياناً،
لذا احفظ ما ينادونني به
أناوله جرعةَ شفقةٍ بين الحين والآخر
كطفلٍ يبكي
أضعه في السرير آملاً أن يكبر بعيداً
عن الرصاص
أو حتى بعيداً عني
بعيداً قدر الإمكان عمّا يُهْزَم
ذلك الأمر يحرقني مثل شيء
لم أفعله

وددتُ لو كنتُ جبلاً يشيح بوجهه عن المارة
أو موجةً تردّ عشاءَ البحر للشاطئ
لكنني أكبر
ويظل اسمي طفلاً عاجزاً
عن طهو الفكاهة

علَّمني الغرابُ

علَّمني الغرابُ
كيف أشرب دمَ المدينة
وألتهم قلبها الحزين دفعةً واحدة
كيف أصرخ في الملاك المجنون
وأرديه بشتيمةٍ سوداء
وعلَّمني الغراب
كيف أردم نفسي بدل ذلك

أمام مكتب العقارات

أمام مكتب العقارات
أجلس كصندوقٍ مهيَّأً لحمولة سائبة
كطفلٍ من أصواتِ المسافرين
نساءٌ ورجالٌ يبحثون عن منازل
صالحة للحياة
قادرة على الصمود بوجه الفخّ
رياحٌ قلقة بين ناسٍ لا يجيدون الثقة بأسعار النوم
يلفّون المدى في قماطِ السعال
يرتبكون وهم ينظرون نحوي طويلا

كمكانٍ أخير أيضاً
أمام مكتب العقارات
أجلس وأصير الأرض

أنا المكان الأخير أيضاً لشجرةٍ أو بيت
لسمكةٍ تريد الحياة في الضوء
لمهاجرٍ
يريد الغناء عائداً لقهوته الدافئة

تحت الشجرة ذاتها

لا أحمل في يدي قذيفةً
لا سكين أو حصاة من شاطئ الغربان
إنني أرسم مقاعد لظلالٍ تلهث
تحت الشجرة ذاتها
التي تتبعني منذ الأزل
أسمعُ الرصاصَ وأُشنَق بفزعِ الطيور
الطيور ذاتها
التي تخطف الحبلَ وتهاجر

يبتكرون نفسَ الوجوه الغائبة

بجوار حقيبةٍ في العراء
لعابرٍ مات من العطش
يرسم الطفلُ رجلاً ينزل كغيمة
يأخذ الحقيبةَ ويمضي
فوقه طيورٌ تنتظر موته التالي
وهناك أطفال أيضاً
يجيدون رسم الحياة
أطفالٌ
يبتكرون نفس الوجوه الغائبة

سيذوب وهي تراه صغيراً

حين وضعتِ الخطأَ الأول
كان الجدار في وسامةٍ طليقة
يتقاسم وشجرة بعيدة اسماً لا وجود له
سيُرفع النهرُ مثل سمكةٍ نائمة
ومنه تنهمر عيونُ الماء
الماء المحاط بما لا يستمع
الغريب كنداءٍ لا شيء
من الزفير دوَّنتْ وجهاً شبيهاً بالنوم
سيذوب وهي تراه صغيراً

أنا طائرٌ حرٌّ

أنا طائرٌ حرٌّ أسكن رؤوسَ الجبال
أُجمع العسلَ من أغاني الرعاة
ولا أُباع بين شفاه الحجرِ
أُمّي شجرةٌ في الهواء،
ربَّةُ نهرين من حليب النظرات
وأبي مات تاركاً رجفةَ ظلٍّ بيننا،
لا ينبئني الذئبُ بمعرفةِ الفصول
لكنني أتنفَّس الأشياءَ
مختطَفاً وزائغاً، وما اشتهيه للريح
قسمتنا من عمولة المتاه؛
يا مكان الطفل على غير ما يُسمَّى
مازال قلبه
يعكس حزنَ المسافرين

بريد الغرقى

أمام البحر يقف ساعي البريد
حاملاً للغرقى
رسائل وأطياف قشّ ينثرها كعشاءٍ متأخّرٍ
سيخرجون بأيدٍ بلّلها الأمسُ
وعيونهم باقية على مشهد الأبواب
مبتسمين للضياء الرماديّ
فوق جناح الصوت البعيد للغابة
حاملين قناني النبيذ المعتَّق للموت
تلازمهم همهمةُ انتصارٍ
بقيَ على حال خسارته
أمام الزرقة الحمراء للمفاتيح المنهوبة

يسافرون دائماً

يسافرون دائماً

يكبرون وهم يذهبون

إذا عادوا

سنقابل صورهم قبل الغياب

سنعرفهم من طفولة ما ظلَّ منهم

داخل فراغنا

يسافرون دائماً

لكن الأعوام التي مرَّتْ دونهم

تعود معهم بذات الرياح

وذات الدموع

التي لا تشيخ

أُمارس الأيامَ كما ينبغي لي

أُمارس الأيامَ
كما ينبغي لي
وليس كما ترتئيه
لو ركنتُ لخداعها
كنتُ سأُحصي خسائري
كلحم المتاهة
وأُجفِّفها فوق السطح
لتأكلها الغربان؛
بيديَّ موَّهتُ ثقوباً كثيرة
في مركب الصواب
لتغرق الثعابين والخير المدمَّى
بينما أحلم بهزيمةٍ

أتزوّجها بعيداً عن كذبة النصر

ونحجبُ بمشيئةِ الخوف

بعضَ الجدران

نسمِّيها الحياة التي

تقشعرّ منها الطرقات

هزيمة

تكون أقلّ وطأةً

من علامات النصر الشحّاذ

كالآخرين نبتسم ونقعد بهدوء

الغائبون دائماً يردُّون السلام

حتى وهم في عجلةٍ من لا عودتهم

مرَّاتٍ بعدد الأيام الحزينة نتمتم بشيءٍ

لا نفهمه نحن أيضاً

كالآخرين

الذين لا يسمعون أصوات الغائبين

مثلنا

كالآخرين

نبتسم ونقعد بهدوء

على كلماتٍ بين سطور المسافة

غداً سينفض الأيامَ وينتحر

يقلِّب الأمرَ بعد انتحاره
ينهض متكاسلاً مثل مجازٍ لم يشبع
من أكل الحواة
ويعود ليسمع أغنية
أو يشرب قهوةً يعدّها شبحٌ يبكي
ينقذ الوجودَ قليلاً من كذبته؛

غداً سينفض الأيامَ وينتحر
غداً يتذكَّر ما ينساه ويطرق الباب

أعطني تلك الكأس

أعطني تلك الكأس
ليست هذه،
تلك التي لم تتقدَّم شفاهٌ لخطبتها
تلك الفارغة كامتلاءٍ لا مرئيٍّ
الوحيدة بين صغيراتِ المتاه
الكثيرة لأنها بلا آخرين
البعيدة كقمرٍ في جيب طفل
البيضاء كارتجافةٍ صفراء،
تلك السكرى بما ليس في بالها
التي لا يراها أحد

أمّا الآن فهو يستلقي

نهرٌ آخر ونصل القلعة
سمكة أخرى ونشذّب أغصانَ الخيال
قنبلة أخرى ويموت أطفالٌ
يجمعون فراشاتٍ ملوَّنة
يؤسّسون بها وطناً جافّاً في كراسةٍ
بحجم صفعةٍ
يغلقون عليها مخاوفهم
أمّا الآن
فهو يستلقي
كإلهٍ غسلَ عينيه من غبار الخلق
قبل لحظات

وشرعَ يفكِّر بلغاتٍ مقلوبة
لناسٍ سوف يطعنون أنفسهم
ويرسمون علامات النصر وهم يترنَّمون
بالجنَّة
التي أغلقها أمام الجميع

قال شيئاً في سرِّه وضحكَ

من أعواد جافَّة صنعَ شخصاً
عاهده على الصداقة
وعندما أغضبته الخيانةُ كسرَ ساقيه ويديه
ورماه في النهر.
من الرمال شيَّدَ بيتاً
وعندما وجده صغيراً ركله
وغسل ذاكرته من الغرف الضيِّقة،
يا للأشياء التي كانت في قديم الزمان
مزَّقها واحدةً تلو الأخرى
قال شيئاً في سرِّه وضحكَ

يده البعيدة

قبضوا عليه في الطريق
أرسلوه مرغماً إلى الحرب
كان يبحث عن ثمن رغيف ولفافة مهرَّبة
الآن يرتفع دخانُ اللفافة وحده
وتخرج منه صورةٌ كهيئته وهو يبتسم للرغيف
لكن يده البعيدة
لم يعد بمقدورها المجيء
للوقوف في طوابير المتاهة

كل ما يحدث لا يحدث

كل ما يحدث لأجل رؤيةِ شيءٍ
ينزل من الصمت
ويأخذ بقاياه لصورةٍ بيضاء
صورة بيت أو شجرة
ناسٍ أو حياة من نوع مملٍّ آخر
شارع أو نافذة بلا موعد بلا ريح
عربة لا تتوقّف ولا تصل
كل ما يحدث
لم يكن يريد الظفرَ باِسمٍ أو قلب
أو اشتهاء يومٍ حقيقي

يُولَدُ فجأة كولدٍ ينتظر هديةً
ينتظر بلا جدوى
ثم ينام ويختار ما يفكّر به
ويصير العالم غرفته الواسعة
كل ما يحدث لا يحدث
سوى ليُفسِدَ النظرة
إلى جهةٍ أخرى تبتعد بما لا يمكن رؤيته

هناك سنحصي أقفاصاً

الضوء قليل
والمسافة إلى شجرة الليمون
مجرّد أغنية نائمة
وبناتها الغائبات تركنَ عطرهنَّ
هناك سترتدي الأيامُ أثوابَ الريح
هناك سنحصي أقفاصاً لم نرسمها بعد
لظلالنا التي وصلتْ قبلنا

مثل غبارٍ لا يتحرَّك

يملأ السلّةَ بعيون الغرقى
بكلماتهم الأخيرة
لشيءٍ لا يتذكَّرونه الآن
بحصصِ العويل وراءَ الساعات المكسورة
في اِلتماعةِ لا جهةٍ
بأبواق مهشَّمة ومناديل مزروعة
بضجرٍ لا مكتوب على الحصى
ويذهب
يذهب مثل غبارٍ لا يتحرَّك

ليلٌ يتدلّى كعنقِ لا شيء

سأُقاسمكِ النظرَ إلى شجرة
إلى ناسٍ
لا يجدون قوتَ ابتسامةٍ ضئيلة
وأمواجٍ تنحسر بلا أقراطٍ ورموش
بحوزتي ما بقي حتى الآن
قلمٌ وأوراق اعتماد هدنةِ لا جهاتٍ مع رضوضِ السعاة
حَوْلٌ طعينٌ مذ آمَنَ بسميدِ الخطوبةِ
آمَنَ بشروخ الأنساق
لسانهُ معقود الأشبار
وهنا تضع الريح بيضتها الذهبية
ويتورّد خدُّ النهر المسافر،

هنا يُسدَلُ أثاثُ الرعد،
تتضوَّر كتماناً فراسخُ الكندر
ليلٌ ثقبٌ في وسادة الحبَّار الضرير
مقتولاً بمِشقص الوهاد
يتدلّى كعنقِ لا شيء

أريد أن أزرع شجرةً

قبل أن تتحوَّل الكلمةُ إلى فراشة
والفراشة إلى ضوء
والضوء إلى مكان
والمكان إلى عائلة
والعائلة إلى خوفٍ يركض تحت القصف
أو أطرافٍ تمضي بحقائب فارغة
قبل أن يعود الطغاة إلى ظهر المدينة
والمدينة إلى المشنقة
أريد فقط
فقط لا أكثر
أن أزرع شجرةً
كشيءٍ كان ينقصني
لأغنِّي

شيطاني الصغير

شيطاني الصغير
لا أدري أين وقعَ مني
كان في جيبي
يتأمّل العالمَ بابتسامة عريضة
وينبئني بهلال الصمت
وساعة النزوح إلى بكاءٍ آمن؛
يخيَّل إليَّ أحياناً
أنني أنا الذي وقعتُ منه
وأنه الآن يعاني
ولن يجد جيباً فارغاً وضئيلاً
مثل بلدته القديمة

الكنز الذي يشبهني

القطيعُ نائمٌ يا زوربا
النظر إلى الغابة
يلتحفني كرداءٍ مملوكٍ
والريح وحدها
تغنّي في قلبي
أريدُ أن أجد الكنزَ
الذي يشبهني

ستسقط مثل كل مرّة

لا تعدْ إلى الشرفة
أمس سقطتَ منها مرَّتين
وتظاهرتَ بالجنون بين المارة
وعدتَ سالماً لرائحة الجدار
لا تعد مطلقاً لشيءٍ ما
ستسقط مثل كل مرّة
وسيأتي القطارُ الساكن عشَّ رأسك
ويعزف موسيقيون لا تراهم
لحناً لن تسمعه.

أنظر للريح وأتخيَّل أنني مرئي

قرّرتُ أن أكون شيئاً عاديّاً
رجلاً يغتسل بذنوبٍ لم يرتكبها
عودَ ثقابٍ احترقَ وانتهى الأمر
رسالةً سقطت من شباك القطار
لغماً لا يقترب منه أحد
كتاباً تركض صفحاته مثل حصانٍ مجنون
حلماً يعدّ القهوةَ لشبحٍ مقتول.
قرّرتُ الاحتفال بكل تلك الأشياء
التي لا تحدث
لكنني حتى الآن
أنظر للريح وأتخيَّل أنني مرئي

أنتَ أيضاً كذبة أمواج

يخبركَ العالم فقط أن الحجر فقد صوته
واحتفظَ بصورته في تلال الذكرى
لن يقول تلك هي سعادته
لن يخبرك بجلد الضبع حول الأيام
ستظل مرتبكاً ترى وظيفةَ حطّابٍ
يقترب بفأسه من رأسكَ
تدنيه لشعوبِ ضحكةٍ تتعرّى للهواء
بينما هو يراك شجرةً
أو مكاناً يرتطم به ليصحو
أنتَ أيضاً كذبةُ أمواج

فمٌ يتخفّى

السمكةُ داخل البحر
الدجاجُ داخل السياج
الولد داخل اللعبة يزاحم الأعيادَ بنزق المكان
المرأةُ داخل الغرفة العمياء تجد متّسعاً للذكرى
الظِلُّ داخلَ الصرير
الفكرةُ داخل بئر اللا شكل
وفي الخارج فمٌ يتخفّى وهو يبتلع المارة.

قصص كاذبة عن الناس السعداء

رفرفةُ أجنحةٍ على الجدار
ذئبٌ ومهاجر بتمتماتٍ سليطة
زهراتٌ غير منتقاة لكنها سوداء
موجةٌ تائهة تبتلع قرطَ القمر
وحذاءٌ تسلَّلَ خفيةً وراءَ الظلِّ،
نضحكُ ملء الفراغ
بينما ترقُص الشّمعةُ كقاربٍ ممتدَح
ويوهمنا الليلُ ببقائهِ تحت القصف
لكنه عندما يأتي الدبُّ الأبيض
سننام، ويهرع الليلُ لأُمِّهِ
حاملاً
قصصاً كاذبة عن الناس السعداء

أعطاني الجبل عوداً يتيماً

أعطاني الجبلُ عوداً يتيماً
كل يوم
أناوله جرعةَ ماء وأتحدَّث إليه:
أنا أيضاً بلا أب
ومثلك لا أجيد النهوض الباكر
لرؤية الصبيّ الذي يفتح عينَ الشمس
مثلك تماماً
أتعثر بحجارةٍ وضعها نازحون لتمويه القذائف
وأسمع أنيناً يتجرَّد من هزائمه
ويأخذ اعتلالَ الغبار لطاحونة الأشكال
حتى أنا

ارتعشتُ طويلاً قبل أن أُذْبَحَ
ارتعشتُ كما ينبغي
مذ خدعتني الأرض وماتتْ
لكنني
لم أجد يداً تبشِّرني بقطرة ماء
وهي تجمع أطرافي وتبكي

عينُ ماء

كلَّما مررتُ بالغابة
سقط مني جزءٌ ما،
دائماً أكتشف زهرةً أخرى
بذات المكان
هناك سأجلس يوماً
وأصير عينَ ماء

بعض الأيام لا تذهب

بعض الأيام لا تذهب
منكسرةً تظل تحت النافذة أو خلف الباب
محدِّقةً بصمتٍ فيما يجري حولها
هكذا بلا رغبةٍ في الاصغاء لحديث جاد
عن البرد وغول الوسواس
عن القذائف وأسعار المجاملات
وحيدة فقط
مثل هرَّةٍ لا يغضبها سوى الذهاب
وراء الغبار الرمادي
الذي التهمَ شقيقاتها وهنَّ يحاولن الالتفات
لمكانٍ لم يردن تركه
بكل تلك السهولة المعادة بشحوب التقاويم

أن يترك قنديلاً

الذين أومأوا لنا صباحَ العاصفة
ظلَّتْ أيديهم معلَّقةً في الهواء
وأسماؤهم المتلاشية تتأدّبُ متضرِّعةً لقضماتِ الغبار
أن يترك قنديلاً
لبعض المحنَّكين بلا عودتهم
وهم يلتقطون جفونَ الثغاء
وبرقوق الأثر

قبل هذه العاصفة

ربما لم تكن العاشرة تماماً
قبلها أو بعدها
ما أتذكّره أنها البارحة
وهذا يكفي إلى حدٍّ مزرٍ بالطبع؛
كانت الرياحُ تعصف بجنون
وعلب المياه الفارغة تُقذَف هنا وهناك
الأغنية النائية تتوقّف أحياناً
والصقيع يكوِّم مجنّديه القتلى ويصرخ بصوتٍ رخاميّ
فتنهض الأرانب بسلاحها من عظام الحوت الأبكم
لتأخذ مواقعها لاحتلال الفراغات المكشوفة
تقريباً كانت العاشرة ولفافتين وفنجان صدى
العاشرة ليلة الأمس

أو حتى ليلة الغد
المهم أنها العاشرة
عندما قرَّرتُ أن أكتب لكِ رسالةً مطوَّلة
ثم أشعل النار
وأحاول جاهداً القفزَ قبلها
قبلها أو بعدها
المهم أنها البارحة
وأنني سهرتُ أكتب حتى انفجرت قذيفة قريبة
وسكتَ كل شيء
تقريباً كنتُ الوحيد الذي لم يخرج من بيته
لذا لم أعرف التوقيت الحقيقي لما حدث

لا أستطيع
لا أستطيع تمييز الأشياء
عندما لا أرى أحداً
يغني كعادته
وهو يعبر أمامي
بمفتاح بيته كأمرٍ طبيعيّ
لا أدري كم هو الوقت بلا معنى
عندما لا أحد
لا شيء يلوِّح لكَ كعادته
وسط هذه العاصفة

لا شيء بيننا

لأرى الناس
لأقرأ
أو أشتم الذباب المسرَّب من حاويات السلاح
لأخفي دمعةً تولد بلا سبب
لأردّ الطينَ إلى أوّل بقرةٍ
ماتتْ وهي تنجب غيمة
لأصنع دميةً للريح تلهو بها في الصقيع
أرتدي نظارتي؛
لكنني أنزعها وأنتِ تمرّين
حيث لا شيء
يمكنه الادّعاء بوجوده بيننا

إطارٌ فارغ

الإطارُ الفارغ على الجدار
بمسماره المتجهِّم ورائحته الشبيهة
بِعَرَقِ عمَّال المناجم
وصبره المطرود من جنَّةِ النوم
منذ اقتلعتِ الحربُ جيرانه الساهرين
تخيَّلْ بداخلهِ ما تشاء
واتركه هكذا حتى لا يرتطم أحدٌ بالبلاط
أو تسقط مدينة بسبب طوفانٍ أعمى
في هذه الغرفة الباردة
حيث لا سفينة بمقدورها
احتمال نجاةٍ أخرى
تتكرَّر بعدها نفس المجازر

خلفنا يضحك البرتقال

بما حُوصِرَ التعبُ؟
بما أنبأتكَ نباهةُ الريب في العاصفة؟
وكيف استمال السحيقُ خيبةَ الأفراس
بما أنبأتْ عوسجةُ الليل جاراتها فارتدينَ جمالهنَّ
المُخَبَّأَ منذ أطاحَ بزمرةِ ألوانهِ رحِمُ المدى
داعياً الشهوات للقنصِ والقنصَ لاحتدام المكان؟
ولماذا لا يموت الحارسُ النائم؟
ترانا يدهُ قبل عينيه، تتحسَّس البندقيةَ فنركض
وخلفنا يضحك البرتقال،
خلفنا دائماً ما وددنا سرقته

مثل حياةٍ أخرى
لم نستطع الحفاظَ عليها
واكتفينا بهذه التي طالما سُرِقتْ منّا
ونحن نتبادل الضحك.

معاً ننصتُ لغيابنا

فراغٌ هائل كالليل
هائل وقديم
هائل وقديم وحزين
وثبةُ لا جسدٍ نحو لا جهةٍ،
أغسلُ الماءَ بفكرته الأولى
بحصادٍ يرفرف أعلى الحائط
مثل أجنحةٍ كانت مقيَّدة،
بالحنق نفسه أرثُ الظلَّ
وبيديكِ أُجنّد الفراشات للرقص
أنتِ بعيدة هذه اللحظات مثل شجرةٍ
تقترب وترتعش

ترتعش وتهمس

ترتعش وتهمس وتبكي

أنتِ الآن غيمة الأرض النائية

تذهبين كثيراً

ومعاً ننصتُ لغيابنا

أنبياؤك لا يدخلون أسواقهم

لا تقاوم رغبتكَ في ازدراء العالم
هو الآخر
لا يحفل بالقافلة المهجورة بين عينيكَ
وآثار السياط في نظراتك
إلى شيءٍ لم تره بعد
خرجتَ للتوّ من غبارٍ كان على الكرسي
من عينِ القرنفل المسحور
أوهمتَ الظلَّ بقهوةٍ بين جسور الفضَّة
لكنه آخر المصلوبين على المشجب الأبكم
حكمتَ الصرخة بنشيدٍ أمين

فاستشرى رعاعُ القضم وبِيعَ قميصكَ بحافرٍ غريب
سلَّمتَ المدينةَ لأصغر نبيٍّ في قلبكَ
وها أنتَ وحيد بما يطاردونه؛

أنبياؤك لا يدخلون أسواقهم

فهرست

فهرست



قبل أن تتحوَّل الكلمةُ إلى فراشة

والفراشة إلى ضوء

والضوء إلى مكان

والمكان إلى عائلة

والعائلة إلى خوفٍ يركض تحت القصف

أو أطرافٍ تمضي بحقائب فارغة

قبل أن يعود الطغاة إلى ظهر المدينة

والمدينة إلى المشنقة

أريد فقط

فقط لا أكثر

أن أزرع شجرةً

كشيءٍ كان ينقصني

لأغنِّي



